



في ذكرى اغتيال الفريق الليثى ناصف ، إصحى يا شعب !

بقلم : رائف محمد الويشى

24 أغسطس 2010

يوافق اليوم الذكرى السابعة والثلاثون لاغتيال الفريق الليثى ناصف القائد الأسبق للحرس الجمهوري في لندن ، ففي صباح يوم 24 أغسطس 1973 ألقى به من الدور العاشر من عمارة ستيوارت تاور في منطقة ميدافيل بغرب لندن .. كان الفريق المرحوم قائدا للحرس الجمهوري طوال فترة ستينات القرن الماضي وحتى وفاة الرئيس عبد الناصر واستمر في منصبه في بداية حكم أنور السادات ..

يعد الفريق الليثى ضمن فريق العشرة الكبار من نجوم العسكرية المصرية في تاريخها الحديث ، وهم ترتيبا الفريق أول محمد فوزي (مدفعية) ، الفريق عبد المنعم رياض (مدفعية) ، الفريق سعد الشاذلي (مظاهرات) ، المشير محمد عبد الغنى الجسمي (مدرعات) ، الفريق محمد على فهمي (دفاع جوى) ، الفريق مذكور أبو العز (طيران) ، الفريق ناصف الليثى (مشاة) ، الفريق محمد الماحى (مدفعية) ، الفريق عبد المنعم واصل (مدرعات) ، اللواء نبيل شكري (صاعقة) ..

لم يعد سرا القول أن أجهزة المخابرات المصرية قد رصدت في الأسابيع الأولى من حكم السادات ما يدل على أنه يقوم باتصالات من أبواب خلفية بالإسرائيليين والأمريكيين ، وقد وصلت في الشهور التالية إلى ما يؤكد ذلك ..

كانت العملية " عصفور " يجرى تنفيذها على قدم وساق وكانت أخطر عملية تقوم بها المخابرات المصرية في تاريخها واستدعت موافقة خطية من الرئيس عبد الناصر لتنفيذها .. كانت عبارة عن زرع أربع ميكروفونات في السفارة الأمريكية في القاهرة ..

بدأت العملية في أكتوبر 1967 واستمرت الميكروفونات بإمداد مصر بمعلومات لا تقدر بثمن وفي جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية .. كانت ضمن تلك المعلومات ما سجلته تلك الميكروفونات في عام 1969 وبلسان كبار موظفيها بضرورة الخلاص من عبد الناصر لفتح حل سلمي في المنطقة يضمن بقاء إسرائيل ..

أخفقت المخابرات المصرية في رصد تجنيد السادات من قبل المخابرات المركزية الأمريكية ، فقد تم تجنيده خارج مصر من قبل ك. أ. وهو شخصية خليجية ويعتبر اليد اليمنى للمخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط وذلك أثناء سفريات السادات في مؤتمرات الأفراسيوية حيث كان يرأس وفد مصر .. كما أخفقت أيضا المخابرات المصرية في رصد تجنيد أشرف مروان من قبل الإسرائيليين وهو الذي ذهب بقدميه إلى السفارة الإسرائيلية في لندن كما أذاعت الكثير من الأنباء ، هذا بالإضافة إلى غموض يلف اختيار الرئيس عبد الناصر لأنور السادات كنائب له في تلك الفترة شديدة الحساسية من تاريخ مصر والتي أعقبت النكسة بالرغم من وجود شخصيات لها خبرة في العمل السياسي تزيد عنه وبمراحل ..

يقول هنري كيسنجر في مذكراته أن الإسرائيليين في منتصف أغسطس 1970 وعندما اكتشفوا اكتمال حائط الصواريخ المصري حملوا الوسيط الأمريكي مسئولية إزالته لأنه - في نظر اليهود - كان يعد خرقا لشروط وقف إطلاق النار ، ويضيف أن رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير طلبت الحضور إلى واشنطن في أجل إقناع الأمريكيين بإزالة هذا الحائط من طرف أمريكا ولو عسكريا لأنه لم يكن بمقدور الطيران الإسرائيلي فعل ذلك ..

يوصل كيسنجر في مذكرات ويلقى بقبلة تشرح ما جرى في 28 سبتمبر 1970 ، فيقول أنه قد تحدث في تلك الأيام مع السفير الإسرائيلي في واشنطن - إسحاق رابين - وأخبره بأن على إسرائيل أن تنتظر لمدة شهر أو شهرين لأن هناك أحداثا هامة ستجرى في المنطقة في تلك الفترة المذكورة .. في 28 سبتمبر 1970 يرحل جمال عبد الناصر إلى جوار ربه (!!) ..

استمرت العملية " عصفور " في القيام بواجباتها الإستراتيجية بعد الرحيل المدير لعبد الناصر .. كان من الطبيعي أن تمتنع أجهزة المخابرات المصرية عن إبلاغ الرئيس الجديد للجمهورية بتلك العملية بسبب الشكوك السابقة في ولائه لبلده ..

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في برنامجه الأسبوعي على قناة الجزيرة الفضائية وفي حلقة 10 ديسمبر 2009 أنه كان أحد القلائل الذين يعرفون بالعملية " عصفور " بسبب قربه من الرئيس عبد الناصر ، يضيف أنه في أبريل 1971 تحدث مع السادات في شأن تلك العملية وكان يظن أن السادات بحكم منصبه الجديد يعلم بتفاصيلها ، ثم يلقي هيكل بالمفاجأة ويقول أنه بعد أيام من معرفة السادات توقفت الميكروفونات عن العمل لأن السفارة الأمريكية قد وضعت يدها عليها جميعا !! ..

قبض السادات في 15 مايو 1971 على جميع من له صلة بالعملية "عصفور" واتهمهم بتدبير انقلاب ضده ، ربما كان ذلك بإرشادات أمريكية بعد أن تأكد لهم وله سيل الإمداد الذي وفرته تلك الميكروفونات على مدى أربع سنوات ، كان الملفت للنظر أن السادات قال في أحد خطبه بعد ذلك " إتغديت بيهم قبل ما يتعشوا بي " ، وكعادة المصريين لم يتوقفوا لتحليل تلك العبارة الهامة ..

كان أهم هؤلاء هو الفريق أول محمد فوزي الذي قدم استقالته قبل التاريخ المذكور بقليل وأثر أن ينسحب من الصورة حتى لا ينقسم الجيش بين مؤيد ومعارض فكان جزاؤه القبض عليه والحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى السجن المؤبد ، هو الذي بني الجيش المصري بعد أن تعرض للانهايار الكامل في يونيه 1967 ..

يشبه الفريق أول فوزي طائر الفينيق الأسطوري الذي يخرج من بين الأطلال ليعلن البناء والنهضة ، أطلق السادات النار على الطائر وأصابه في جناحيه بعد أن أنجز أهم مراحل مهمته فسقط مضرجا في دمائه قبل أن يكمل مهمته المقدسة ويستعيد الأرض والشرف المهان .. كان هناك أيضا ضمن المقبوض عليهم مدير المخابرات أحمد كامل ، ومن مكتبته تخلص السادات من كل الملفات التي تؤكد على عمالته ..

اجتمع السادات قبل أيام من انقلابه مع قائد الحرس الجمهوري اللواء الليثي ناصف ، بكى الفلاح الماكر أنور السادات أمامه وطلب منه القسم على المصحف بالوقوف إلى جانب الشرعية التي يمثلها .. لم يكن اللواء الليثي على علم بما وصلت إليه المخابرات المصرية من معلومات حول حقيقة السادات ، فقد كانت طبيعة العمل في تلك الأجهزة الحساسة بالدولة - وما زالت - هي الفصل بينها وعدم الاتصال والتنسيق بينها مطلقا لضمان عدم توحيدها ضد القيادة السياسية ، أعطاه اللواء المنضبط القسم بحمايته ضد أي انقلاب عليه .. خرج السادات من العملية بانتصار منقطع النظير ، فقد قبض على كل من يعلم بخيائنه وخذع قائد الحرس الجمهوري ببعض دموع التماسيح ..

في كتابه " عرفت السادات " يقول طبيب السادات الخاص وجليسه منذ طفولته د. محمود جامع أن الفريق الليثي ناصف أنقذ السادات من عدة محاولات اغتيال ، وأنه أنقذ بالتالي مصر من حرب أهلية كان سيدفع الجيش ثمنها غاليا ..

قام السادات بعد انقلابه في مايو 1971 بتغيير شامل في جميع المناصب الحساسة في الجيش والمخابرات ، وأتى بكل من أخرجهم عبد الناصر من الجيش وأعاد لهم وظائفهم ليضمن ولائهم ..

كانت خطته بأن يكون جميع قادة الجيش والمخابرات من مستوى رائد وحتى أعلى رتبة على خلاف فكرى مع بعضهم البعض كي لا يتفوقوا عليه ، إذا كان رئيس الأركان موال للسوفيت يصبح وزير الحربية يكرههم حتى النخاع ، إذا كان قائد فرقة ما متدين ويصلى يجب أن يكون رئيس أركان الفرقة سكير وزير نساء .. كان يدرك أن الانسجام بين قادة الجيش هي أحد أهم مقومات النجاح العسكري لاستعادة الأرض ، لكن أمنه الشخص كان أهم من هذا النجاح العسكري الذي كانت مصر في حاجة ماسة إليه ..

يقول د. محمود جامع في كتابه السابق الذكر ما نصه : كان السادات يحب أن يضع أشخاصا غير متحابين ولا متفقين في المواقع المهمة المختلفة حتى لا يتفوقوا عليه وحتى ينقل كل واحد منهم أخبار الآخر إلى السادات فيكون هو المرجع بالنسبة لهم جميعا ..

كان العقاب ينتظر كل قائد عسكري ينجح في تحقيق الانسجام والتفاهم بين أفراد وحدته .. كان أحد هؤلاء هو العميد عادل سوكة قائد الفرقة المدرعة 21 والتي مع شقيقتها الفرقة الرابعة المدرعة تعتبران الظهير الإستراتيجي للجيشين الثاني والثالث ترتيبا .. كان ضابطا محترفا ومخلصا لمصر وحدد هدفا وحيدا في حياته ، أن يستعيد الأرض التي اغتصبها إسرائيل .. واصل العميد سوكة العمل بتدريب فرقته وتحقيق المحبة والتفاهم بين أفرادها حتى يتمكن من الوصول إلى هذا الهدف ، أنهى السادات خدمته في الجيش وذهب إلى منزله ليجلس فيه ..

لم يكن من الطبيعي أن يبقى ضابط محترف كناصر الليثي في منصبه القوي بعد أن بكى السادات له متوسلا حمايته ، خاصة بعد أن خلى الجو له من أي معارضة ووضع كل من يعلم بحقيقته في السجون .. نقل اللواء الليثي في عام 1972 من منصبه القوي إلى منصب منزوع القوة وهو منصب كبير الياوران ورقى إلى رتبة فريق ، كان ضرورات المنصب تفرض عليه أن يجلس طوال النهار في مكتبه في انتظار مكالمة من سكرتارية الرئاسة تخبره بخروج الرئيس كي يسير خلفه ..

لكن الضابط المحترف الوطني الليثي لم يضيع وقته في منصبه الجديد ، أخذ يجمع المعلومات حول حقيقة رئيس الجمهورية الجديد ، هل كان الدافع وراء ذلك هو الغدر الذي تعرض له على أيدي السادات بعد أن وقف بجانبه ؟ أم هو ما أخذ يرشح من الخلابا النائمة في المخابرات والتي كانت جميعها تؤكد أن السادات عميل للأمريكيين ويتصل بالإسرائيليين ؟ على عكس ما كان يظن السادات ، أعطى المنصب الجديد للفريق الليثي الفرصة ليتابع تحركات السادات ويجمع الأدلة التي مكنته من التأكد من عمالته .. كان هناك الكثير من الوفود الإسرائيلية والأمريكية تأتي لزيارة السادات وهم يحملون جوازات سفر أوروبية مزورة ، وكان الفريق الليثي يتابع بصمت ما يجرى داخل المقر الرئاسي ..

في بداية عام 72 ترصد أجهزة السادات بعض الطيارين وهم يخططون للقيام بانقلاب عسكري .. يأتي السادات بابن بلدته اللواء حسنى مبارك ويعينه في أبريل 72 قائدا للقوات الجوية ، كانت مهمة مبارك الوحيدة هي حماية السادات من ضباط الطيران ومن وزير الحربية الفريق احمد صادق ، وقد قام مبارك بالمهمة على أفضل ما يكون ..

(يلاحظ القارئ أن الفريق صادق كان الشخصية الثانية التي احتفى بها السادات في انقلابه في 15 مايو 71 وكان وقتها رئيسا للأركان ثم عزله في 26 أكتوبر 1972 ووضع رهن الاعتقال المنزلي واستمر ذلك حتى التسعينات رغم وجود مبارك - خليفة السادات - في الحكم وذلك خوفا من الفريق صادق على فضح ما لديه من معلومات على خيانة السادات وهو ما قد يفسر ما يفعله مبارك الآن) ..

في نوفمبر 72 تكشف الصدفة عن أهم حركة انقلابية يتعرض لها السادات طوال حكمه ، كان أهم ملامحها أن قادتها الكبار من داخل المخابرات الحربية والذين وقعت تحت أيديهم بعض ما يفعله السادات .. كان قائد الحركة التي سميت بـ " إنقاذ مصر " هو اللواء محرز مصطفى رئيس المخابرات الحربية والرجل الثاني فيها هو اللواء على عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية بالإضافة إلى قائد لفرقة مشاة وآخر رئيسا لأركان فرقة مشاة ميكانيكية مع بعض العقداء والمقدمين من الصاعقة ووزارة الحربية .. وحدها الصدفة هي التي كشفت عنها ، فقد أثارت تصرفات أحد قادة تلك الحركة الشكوك في نفس شاب بالمخابرات الحربية برتبة نقيب فابلق قريبا له في رئاسة الجمهورية وسرعان ما تم القبض عليهم جميعا في 11 نوفمبر 1972 ..

في بداية عام 1973 يشعر السادات - بحكم نشأته التأميرية - بأن هناك تجمعاً من الأشباح مازال طليفاً ولم يتمكن بعد من القبض عليه وأن الفريق الليثي على رأس هذا التجمع وأنه قد جمع ما يكفي من الأدلة على خيانتة ..

ألقت المخابرات العسكرية في تلك الفترة القبض على مقدم صاعقة يدعى فاروق الفقى كان يمد الإسرائيليين بمعلومات لا تقدر بثمن ، قال الضابط في التحقيقات معه " شاطرين علي فقط ، ما تروحووا تشوفوا رئيس الجمهورية يعمل إيه مع الإسرائيليين والأمريكان " ..

في أبريل 1973 يقرر السادات نقل الفريق الليثي إلى وزارة الخارجية بدرجة سفير كي يكون بعيداً عن المقر الرئاسي .. في أغسطس 73 تصدر الخارجية المصرية قراراً بتعيينه سفيراً في اليونان .. يتوقف الفريق الليثي في لندن مع أسرته للعلاج وهو في طريقه للسفر إلى اليونان .. تبنت الأسرة ليلتها في شقة تتبع رئاسة الجمهورية في الدور العاشر من عمارة ستيوارت تاور .. في اليوم التالي وتحديداً في 24 أغسطس وفي التاسعة من صباح ذلك اليوم يُلقى به من شرفة الشقة .. يسقط دون نقطة دماء واحدة وهو ما يؤكد على توقف الدورة الدموية قبل سقوطه ودون أن يفقد " الشبشب " من قدميه ..

يصل السفير المصري كمال رفعت والوزير المفوض نبيل حمدي ونائب القنصل مصطفى الفقى إلى مكان الحادث ، كانت حرم الفريق الليثي تصرخ أمامهم وتتهم السادات بأنه قتل زوجها ، بينما كانتا ابنتاه منى وهدى تقفان تبكيان في حرقه .. أكدت الزوجة لاحقاً أنها أدت صلاة الصبح مع زوجها ثم تناولت معه الإفطار ثم جلسا يقرآن القرآن ، أضافت أيضاً أن القاتل ربما يكون قد دخل الشقة أثناء الليل وانتظر خروج الفريق الليثي من الحمام في التاسعة صباحاً وألقى به من الشرفة بعد تخديره وخنقه .. يقول اللواء جمال الرفاعي - صديق المرحوم الفريق الليثي - أن المرحوم قد أخبره قبل فترة قصيرة من مصرعه في لندن بأن السادات يود الخلاص منه ..

في 6 أكتوبر 1973 يقوم الجيش المصري بالهجوم على إسرائيل لتحرير الأرض .. ينقذ السادات إسرائيل من هزيمة ساحقة على يد الجيش المصري ويصدر أوامره - التي لا تصدر من عاقل - ويُجبر الضباط الميدانيين على تنفيذها .. تحدث الثغرة ويحاصر الجيش الثالث ويُسْتَشْهِد الألاف من قواته وتُدمر أغلب معداته بسبب قرارات السادات ، يوشك الجيش الثاني أن يلاقى نفس المصير.. يخرج السادات إلى الشعب ويقرر التفاوض مع الإسرائيليين بحجة إنهاء حصار 45 ألف جندي .. يتطور التفاوض إلى معاهدة سلام وإخلاء سبيل من السلاح واعتراف بإسرائيل ..

إن أنور السادات هو الخديعة الكبرى في تاريخ مصر الحديث :

فهو الفلاح الماكر الذي يقف في المنتصف حتى ينحاز لاحقاً إلى الطرف المنتصر ، وهو القاتل المأجور منذ شبابه في الحرس الحديدي التابع للملك (حادثة أمين عثمان وحادثة مصطفى النحاس) ، والعميل الذي يأكل على كل الموائد (عمالته للألمان أثناء الحرب الثانية) ..

وهو الشحات المتسول الذي يشتكى لشيوخ الخليج في الستينات ويقبل عطاياهم (هدايا الشيخ مبارك الصباح التي وضعت المخابرات يدها عليها) ..

وهو البلطجي الذي يستولى على ممتلكات غيره (فيلا اللواء الموحى في الهرم أثناء رحلة عبد الناصر للعلاج في موسكو في يوليو 70 ، وقد تعرض في المطار عقب عودة عبد الناصر إلى وجبة إهانات مركزة منه وأمام كبار رجال الدولة وأجبر على إعادة الفيلا إلى صاحبها) ..

وهو الخائن لبلده الذي جندته المخابرات المركزية (كتاب المعارك السرية للـ CIA ص 352 لأشهر صحفي في العالم وهو بوب وودوارد نقلاً عن مصادره في وكالة المخابرات المركزية) ..

وهو نائب رئيس الجمهورية الذي تخلص من رئيسه بأن وضع حبة أعطته له أمريكا في فنجان القهوة الذي قدمه لعبد الناصر في فندق هيلتون التحرير في أثناء عقد مؤتمر القمة العربي الطارئ فأسرعت من نبضات قلبه حتى توقف .. لقد صنع السادات يومها فنجان القهوة بيده دون أن يطلب منه أحد ذلك وأخرج طبخ الرئيس - محمد داود - من مطبخ الجناح الرئاسي ووضع حبة أمريكا في الفنجان الذي شربه عبد الناصر (رواية هدى عبد الناصر) ..

وهو رئيس الجمهورية الذي قتل قائد حرسه الجمهوري الذي حماه بقواته وقبض على معارضيه وأنقذه من الإعدام ، بأسلوب أدناه الخسة وأعلاه قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ..
وهو الصهيوني المصري الذي أنقذ إسرائيل من هزيمة ساحقة على يد الجيش المصري الذي طعنه في الخلف وأخلى سبيلهم دون أن يطلبوا منه ذلك ووقع معهم معاهدة صلح تحرم مصر من امتلاك أي سلاح هجومي وتخرج مصر من دائرة الصراع وهو ما يعنى عمليا ضياع المقدسات ، ومن الطبيعي أن يطلقوا اسمه على أكبر ميادينهم ..

لو نجا السادات من عقاب الجيش المصري في 6 أكتوبر 1981 لشرب تلاميذ المدارس الدينية الصهيونية في صفد من مياه النيل ولأنشأ المستوطنون المتطرفون في مستوطنات الجليل الغربي في نهاريا ومعالوت وكريات شمونة حمامات السباحة الكبيرة في منازلهم .. ألم يصرح هو نفسه بأنه يود نقل مياه النيل إلى إسرائيل؟!!

لو نجا السادات من عقاب جيشه في اليوم المذكور لأصبحت مصر عضوا نشطا في الناتو تماما مثل تركيا .. ألم يتمنى هو نفسه في تصريحاته الانضمام إلى الناتو وكرر أكثر من مرة أن كمال أتاتورك هو مثله الأعلى؟!!

أما حسنى مبارك - التلميذ النابغة في مدرسة الصهيونية المصرية التي أنشأها السادات - والممتد حكمه لثلاثة عقود حتى الآن ، فقد خصص العقدين الأولين من حكمه في نهب مصر وإذلال المصريين ، ثم ركز نشاطه في العقد الثالث من حكمه على محاباة الصهيونية ، السبب في ذلك واضح للجميع وحتى لأطفال المدارس وهو دور الصهاينة في الحصول على موافقة الأمريكيين على تمرير التوريت ..

في 21 يونيو 2001 وفي مساء التاسعة يُلقى بفنانة مصرية معروفة من شرفة إحدى شقق الدور السادس من عمارة ستوارت تاور أيضا ، كانت قد أنهت كتابة الفصول الثلاثة الأولى من مذكراتها .. في الفصل الثالث تحدثت عن إجبار صفوت الشريف لها على مزاولة الجنس مع السيد الجديد للقصر في عامي 83 / 84 وإلا تعرضت للحرق بماء النار .. لم تنزف جثة الضحية نقطة واحدة من الدم بسبب توقف الدورة الدموية وهو ما يعنى موتها قبل سقوطها ، تماما كما فعلوا مع البطل الحديدي الفريق الليثي ناصف ..

(لمزيد من التفاصيل ننوه إلى دراسة لكاتب المقال من خمس حلقات بعنوان " حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة " ، وكذلك إلى الحلقة الثانية من دراسة لكاتب المقال بعنوان " الصهيونية العربية من الهاشميين إلى مبارك " ، وإلى مقال بعنوان " 21 يونيو 2001 ، هل تذكرن؟! " لكاتب المقال) ..

إصحى يا شعب ، نرجوك !

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com